

تفسير ابن كثير

فقد تقدم الكلام على الحروف المقطعة قوله : { تلك } أي هذه { آيات الكتاب المبين } أي الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الأمور وعلم ما قد كان وما هو كائن قوله : { نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق } الآية كما قال تعالى : { نحن نقص عليك أحسن القصص } أي نذكر لك الأمر على ما كان عليه لأنك تشاهد وكأنك حاضر ثم قال تعالى : { إن فرعون علا في الأرض } أي تكبر وتجر وطفى { وجعل أهلها شيئاً } أي أصنافاً قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته .

وقوله تعالى : { يستضعف طائفة منهم } يعنيبني إسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العتيد يستعملهم في أحسن الأعمال ويكتدهم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نسائهم إهانة لهم واحتقاراً وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه وكانت القبط قد تلقوا هذا منبني إسرائيل فيما كانوا يدرسوه من قول إبراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وجرى له مع جبارها ما جرى حين أخذ سارة ليتذذها جارية فصاحتها الله منه ومنعه منها بقدرته وسلطاته فبشر إبراهيم عليه السلام ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك ملك مصر على يديه وكانت القبط تحذث بهذا عند فرعون فاحترز فرعون من ذلك وأمر بقتل ذكوربني إسرائيل ولن ينفع حذر من قدر لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولكل أجل كتاب ولهذا قال تعالى : { ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض و يجعلهم أئمة و يجعلهم الوارثين * و نمكن لهم في الأرض و نري فرعون وهامان وجندهما منهم ما كانوا يحذرون } وقد فعل تعالى ذلك بهم كما قال تعالى : { وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض و مغاربها التي باركنا فيها و تمت كلمة ربك الحسنة علىبني إسرائيل بما صبروا و دمرنا ما كان يصنع فرعون و قومه وما كانوا يعرشون } وقال تعالى : { كذلك وأورثناهابني إسرائيل } أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى فما نفعه ذلك مع قدرة الملك العظيم الذي لا يخالف أمره القدري ولا يغلب بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون هلاك فرعون على يديه بل يكون هذا الغلام الذي احترز من وجوده وقتلت بسببه ألوفاً من الولدان إنما منشأه و مرتباه على فراشك وفي دارك وغذاؤه من طعامك وأنت تربيه وتدعوه وتنتفدأه وتحتفك وهلاك جنودك على يديه لتعلم أن رب السموات العلا هو القاهر الغالب العظيم القوي العزيز الشديد المحال الذي ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن

